فـوبـيـا

كان أحمد وصديقه عمر ينتظران في البهو المخصص لانتظار المسافرين حيث تبقى على موعد اقلاع طائرتهما نصف ساعة ، نظر أحمد إلى الساعة الكبيرة المعلقة على الحائط في امتعاض قائلاً لعمر: لقد مللتُ الانتظار، صار لنا اكثر من ساعة ونصف الساعة ننتظر، ألم يكن في إمكاننا أن نتأخر قليلاً حتى نأتي في الميعاد المحدد بدلاً من هذا الوقت الضائع في الانتظار؟! رد عليه عمر محاولاً التخفيف عنه: إن ننتظر خير من أن لا نلحق بالطائرة ياصديقي .

- ياعمر، أنت تعلم أني أخاف جداً من ركوب الطائرات ولولا إلحاحك عليّ ماكنتُ وافقت على السفر معك .
- وتتركني وحدي أسافر لاستلام جائزتي ؟ أهذا يجوز؟
- وهذا بالظبط ماجعلني أوافق على مرافقتك في رحلتك هذه برغم أن دقات قلبي تتسارع من شدة الخوف .

ضحك عمر ملء شدقيه قائلاً: لأنك لستَ معتاداً على السفر ياصديقي، أنا كنت مثلك في المرة الأولى التي سافرت فيها مع

والدي الصيف الماضي، لكن الأمر مر بسلام، لاتخش شيئاً كل شيء سيكون على ما يرام .

- لا، لا يا عمر، الأمر مختلف بالنسبة لي، أنت تعرف أني أرهب كل الأماكن المرتفعة، حتى إنني أخاف ركوب المصعد الكهربائي وأفضل الصعود على الدرج مهما كان الطابق مرتفع .
- أعلم ياصديقي، وأنا أعتذر لك على إصراري على اصطحابك معي في رحلتي فأنت تعلم أني وحيد ليس لي أخ أو أخت وإلا كنت اصطحبت أحدهما معي، كما أن أمي بطبيعتها قليلة الخروج من البيت، ولا تفضل السفر ما بالك السفر بالطائرة! فهذا بالنسبة لها من رابع المستحيلات، فضلاً عن أن أبي مقيم خارج البلاد ولا يأتي إلا مرة واحدة كل عام كما تعلم ، بالاضافة إلى أنني لا أحب الوحدة في السفر، فأنت مؤنسي الوحيد ياصديقي .
- ابتسم له أحمد بدوره وربت على فخذه قائلاً: أعلم ياصديقي لا تعتذر عن شيء، واعذرني فأنا متوتر جداً .

وبينما كانا يتحدثان دقت ساعة الحائط الضخمة معلنة عن موعد وصول الطائرة، وسُمِعَ صوت أنثوي رقيق انطلق فجأة عبر مكبر الصوت.. على السادة ركاب رحلة رقم ٣٦٧ التوجه إلى بوابة رقم

خمسة للصعود إلي الطائرة استعداداً للإقلاع ، ثم تلاه نفس التنبيه باللغة الانجليزية .

- هيا ياأحمد، انهض، ماذا بك؟ ألم تكن تستعجل الوقت منذ قليل! هيا إذن.

نهض أحمد من على مقعده متثاقلاً، وقد زادت ضربات قلبه في الخفقان حتى كادت تخترق أذن صديقه.

شعر عمر بتوتر صديقه خاصةً بعد أن ضغط بيده الباردة المرتعشة على يده.

- ألهذا الحد أنت خائف؟ اهدأ ياصديقي، صدقني الأمر في غاية البساطة.

لم ينبس أحمد ببنت شفه، فقد ابتلع الخوف لسانه وشل أحباله الصوتية.

أخيراً وصلا إلى الصالة رقم ٥ صعدا ببطء إلى الطائرة وما إن ولجا الطائرة حتي وضعا حقيبتيهما في المكان المخصص للحقائب وجلسا على مقعدين متجاورين بحسب رقميهما في الجلوس، لازال أحمد يقبض بيده على يد عمر، حتى شعر عمر أن روح صديقه ستصعد

قبل صعود الطائرة إلى السماء، أثار شحوب وجه أحمد قلق صديقه فقال له مخففاً .

- أقترح عليك شيئاً تعلمته من خلال قراءاتي في علم "اليوجا والتأمل" كي يخفف من حدة توترك .
- بذمتك أهذا وقت اقتراحات؟ قالها في عصبية واضحة .
- فقط اسمعني، هذا تمرين خفيف سيساعدك على الاسترخاء وربما النوم .
- اقترح ياسيدي .. قالها أحمد بصوت واهن .
- اجلس جلسة مريحة ، اجعل ظهرك مستقيماً، خذ نفساً عميقاً ، استنشق ببطء واحبس الاكسجين قليلاً ثم اذرفه ببطء، كرر هذه العملية خمس مرات متتالية، ستشعر بعدها بالاسترخاء ويزول التوتر في الحال.
- حسنٌ، لأجرب (قالها أحمد بغير حماس)

وفعل ما اقترحه عليه صديقه، وبالفعل بدأ يشعر بتحسن حالته وشعر بالخدر يسري في كل جسده حتى أنه أغمض عينيه .

بعد ثوانٍ سُمع صوت مضيفة الطيران ترحب بالركاب وتتمنى لهم رحلة سعيدة، ثم أردفت: ستقلع الطائرة خلال دقيقتين، من فضلكم اربطوا الأحزمة، واستعدوا للاقلاع .

بمجرد سماع أحمد هذا النداء ارتجف ثانيةً وربط حزام الأمان، وعمر أيضاً، ثم بدأ في تلاوة بعض آيات من القرآن الكريم بصوت خفيض مرتجف، مرت الدقيقتان كأنهما عامان، وأخيراً بدأت الطائرة في الصعود .

ظل أحمد على هذا الحال حتى استقرت حالته نوعاً ما باستقرار الطائرة في الجو، عاد لينفذ نصيحة صديقه بممارسة تمرين الاسترخاء الذي فعله قبل اقلاع الطائرة حتى يتسنى له الهدوء عسى أن يمكنه النوم ولو قليلاً، وبالفعل فور قيامه بالتمرين غط في سباتٍ عميق.

بينما عمر لازال مستيقظاً، نظر إلى أحمد مبتسماً أن صديقه اطمأن أخيراً وزال عنه التوتر، وأتاه النوم أخيراً.

شرد عمر حين نظر من نافذة الطائرة حيث كان جالساً، مفكراً في جائزته التي بانتظاره في تلك الدولة المسافر إليها هو وصديقه ، مشاعر مختلطة اختلجته، ففي لحظة واحدة شعر بالسعادة، والتوتر، والحماس، والفخر، كانت هذه الجائزة عن مشاركته في مسابقة أدبية عن الصراع العربي–العربي ، وقد فاز فيها بالمركز الأول، بحسب ما أخبرته المختصة

بإعلام الفائزين بفوزهم عبر الهاتف، وبينما كان غارقاً في أفكاره حتى غلبه النعاس ونام هو الآخر .

بعد مرور وقتٍ لا يدريان كم كان، استيقظ عمر وأحمد على صوت شجار قوي بين اثنين من ركاب الطائرة، اتضح من صوتيهما ا أنهما عربيان يتحدثان بلهجتين مختلفتين، قال أحدهما للآخر كيف تجرؤ على مقاطعتي أثناء قراءتي؟ رد عليه الآخر قائلاً: إنك تزعجني بصوتك العالي في القراءة، أتريد أن تيعرف الجميع أنك رجل مثقف، علمنا ياسيدي، فلتقرأ في سرك اذن وكفاكَ تظاهراً!

- تظاهر! رد الرجل في عصبية .. أي تظاهر أيها الجاهل الأحمق، أنا لا اتظاهر ، هذه هي طريقتي المفضلة في القراءة، فلتجلس انت في مقعد آخر إذا كنت حقاً منزعجاً كما تدعي.

ثار غضب الرجل حين سمعه ينعته بالجهل والحُمق، وما كان منه إلا أن أمسك بالكتاب الذي بيده وطوحه بعيداً فسقط على سيدة عجوز كانت تجلس في مقعدها تشاهد المشاجرة الحامية وعيناها مفتوحتان على آخرهما مما جعل أوراق الكتاب الحادة تخدش مقلة إحدى عينيها فصرخت ألماً بلهجة

ثالثة مختلفة عن لهجتي الرجلين المتشاجرين: آه ياعيني، عيني أُقتُلِعَتْ، لم أعُد أرى بها.

انتفض ابنها الذي كان بجوارها صارخاً: أمي ، ماذا أصابك ؟ ماذا فعلتم أيها الهمجان السوقيان؟ أتظنان نفسيكما تجلسان في قطار للركاب أيها الوغدان؟

ترك الرجل الذي ألقى بالكتاب الرجل الآخر الذي كان يتشاجر معه واتجه نحو الرجل الثالث ابن السيدة العجوز التي أصيبت عينها وبدلاً من الاعتذار عما بدر منه، فعل شيئاً آخر، أمسك بتلابيبه صارخاً في وجهه، من هم السوقيون أيها السفيه؟

اسرعت مضيفة الطائرة نحو السيدة العجوز محاولة إسعافها وإبعادها عن مكان الشجار بعد أن سادت حالة من الهرج والمرج داخل الطائرة وقام كل الركاب من أماكنهم، بعضهم يحاول فض الاشتباك، والبعض الآخر انضم للاشتباك تعاطفاً مع السيدة العجوز، إلا أن المضيفة قد تلقت ضربة بالخطأ من قبضة الرجل ابن السيدة العجوز المصابة أسقطتها على الأرض، ما أثار حفيظة كابتن الطائرة وبحركة لا إرادية إندفع نحو المضيفة تاركاً مقعد القيادة، مما جعل الطائرة يختل توازنها وسارت تميل يميناً ويساراً، والركاب يترنحون ويتمايلون مع ميل الطائرة في كلا الاتجاهين، زادت

صرخات الجميع نساءً ورجالاً وأطفالاً، حتى شعروا بالطائرة تنجذب إلى الأرض بقوة كبيرة، انتبه كابتن الطائرة إلي أنه ترك مكان القيادة وأن الطائرة فقدت توازنها، فحاول العودة إلى مكانه لكنه لم يتمكن حيث أن الطائرة زاد تمايلها وزادت معها صرخات الركاب، هنا صرخ أحمد في صديقه عمر: ألم أقل لك إني أخاف من ركوب الطائرات، كنت أشعر بأننا سنموت هذه الميتة البشعة، سامحك الله ياصديقي ثم تلا الشهادتين، وفجأة ارتطمت الطائرة بالأرض، فتح عمر وأحمد أعينهما على صوت مضيفة الطائرة تقول: حمداً لله على سلامة الوصول، من فضلكم اربطوا أحزمة الأمان استعداداً للهبوط!